

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد



«الحديد معدن ثقيل، فلكي تتجمَّع وتتَّحد ذراته بعضها ببعض الآخر على هذا النحو المتين الذي هو عليه يحتاج إلى طاقة هائلة لا تتوافر إلا في التفاعلات والانفجارات النووية، وبما أن مثل هذه التفاعلات لم تحدث في كوكبنا منذ تشكل له إذن لابد أن الحديد دُخِل على قشرة الأرض وأنَّه قد تشكل في جرم آخر ثم انتقل بطريقة ما إلى الأرض، وهذا ما يتفق عليه كافة علماء الجيولوجيا والمعادن. أمَّا نواة الكرة الأرضية التي تتألف من صخور سائلة أو منصهرة - طبقة السِما - فإنها تحتوي على بعض المعادن الثقيلة كالحديد والكوبالت وغيرها. لقد تبيَّن أن المجموعة الشمسية تحتوي على عدد كبير من الأجرام السماوية التي تدور في أفلاك خاصة بها حول الشمس وحول الكواكب السيارة. تنجم هذه النيازك عن انفجار أحد المذنبات أو أحد الكواكب. أثناء هذا الانفجار الذي ينجم عن ارتطام الكواكب ببعضها تنطلق طاقة نووية هائلة تفوق في قوتها آلاف القنابل النووية. تقوم هذه الطاقة بربط ذرات المعادن الثقيلة بعضها ببعض الآخر لتشكِّل معدن الحديد والنيكل والكوبالت والكروم والسيليسيوم وغيرها. إذن فالنيازك والأجرام السماوية التي نجمت عن انفجار النجوم والكواكب والمذنبات غنية بهذه المعادن الثقيلة، كما تحتوي في تركيبها على غازات متجمِّدة كالنشادر والميثان والسيانوجين، وهذا هو تركيب المذنبات التي تعبر مصدرًا رئيسيًا للنيازك والأجرام السماوية. فإذا اقتربت النيازك الصغيرة التي لا يزيد وزنها عن بضعة أطنان من الغلاف الجوي للأرض - السقف المحفوظ - فإنها ستفتت

لمجرد ملامستها له. وبما أن هذا الفتات خفيف الوزن فإن جاذبية الأرض ستشده إليها ليسقط مختلطاً مع الأمطار التي يحدثها فتخصّب تربة الأرض وتجعلها غنية بالمواد العضوية والمعدنية كالحديد والنيكل وغيرهما. أمّا النيازك الأكبر حجماً فإنها تبقى في فلكها حول الأرض، وعندما تقترب من الغلاف الجوي تستعر وتتوهّج وتضيء، وقد وصفها القرآن الكريم (بالشهاب الثاقب) أي المتسّقد أو المستعر، التي سخّرها الله سبحانه وتعالى ليقذف بها مردة الشياطين الذين لا ينفكّون عن محاولات الصعود إلى السماء لاستراق السمع والتنصّت على الملائكة - الأعلى - الملائكة - وعلى أخبار السماء. وهذا ما أخبر عنه سبحانه وتعالى على لسان الجنّ قائلًا: (وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ سُنْدًا السَّمَاءِ - فَوَجَدْتُمْ نَاهَا مُمْلَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَّهِيئًا * وَأَنْزَلْنَا كُنُوزًا نَزَقًا عُدُومِنْهَا مَقَاعِدَ لِلْسَّمْعِ - فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا) (الجن/ 8-9)، يُقصد بكلمة (الآن): أي بعد نزول القرآن، أمّا قبل ذلك فلم يكن محرّماً ما على الجنّ التنصّت إلى أخبار السماء وأحاديث الملائكة وسماع أسرار الخلق والكون والوحي. لقد استغلّ الجن ما كانوا يحصلون عليه من هذه المعلومات السماوية في الغواية والفساد، فكانوا يزوّجون أتباعهم من الإنس بهذه المعلومات والأخبار ليدعوا النبوة أو الألوهية فيتبعهم الناس بعد أن يكفروا بخالقهم. لذا وحفظاً لكلام الله وللقرآن وحفاظاً على الإسلام والمسلمين من الغواية والتضليل وضع الله حداً لهذا النشاط الخبيث للجنّ فسخر حرّاساً أشدّاء من الملائكة، وسخر النيازك والشهب لترمى بها مَرَدَاتُهُمْ كُلَّهَا حاولوا تسلُّق عنان السماء وخطف خبراً من أخبارها: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ) (الصفّات/ 10)، وقال جلّ جلاله: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَا نَافِثَاتٍ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) (الملك/ 5)، وقال عزّ من قائل: (إِنَّ زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَرَزِينَةً الْكَوَكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَيُفْقَدُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ) (الصفّات/ 10-6). كما قال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام واصفاً خبث مردة الشياطين ومكرهم: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَاعْتُمْ هُمْ إِذْ زَكُّوا لَكُمْ لَمُشْرِكُونَ) (الأنعام/ 121). عندما تلامس النيازك الغلاف الجويّ للأرض فإنّها ستشتعل بفعل سرعة سقوطها الكبيرة والتي قدّرت بـ 864000 كم في الساعة (150 ميل في الثانية)، وبفعل احتكاكها الشديد بالهواء المحيط بالأرض (الغلاف الجويّ). نسمي هذه الظاهرة بـ(الشّهْب) التي نشاهدها ليلاً وهي تسقط من السماء باتجاه

الأرض، ولكنها لا تلبث أن تنطفئ بسرعة كبيرة بعد أن تنفتت وتحوّل إلى رماد سيهطل على سطح الأرض ليزيد من خصوبتها. أما إذا كان النيزك ثقيلًا ومتماسكًا فإنّه قد يصل إلى سطح الأرض سليماً فيحدث فيها خراباً ودماراً كبيرين. لقد سقط في جرينلاند Greenland نيزك يزن 26 طناً، وآخر في غروتفونتاين Grootfontein في جنوب أفريقيا وكان وزنه 60 طناً، كما سقط ملايين النيازك على الأرض منذ قديم الزمان كان آخرها الذي سقط بالقرب من مدينة أسنا وقرب قرية النخلة والثالث بالقرب من قرية دنشال بين دمنهور وكفر الزيات في جمهورية مصر العربية عام 1911. لقد قام العلماء بتحليل هذه النيازك كيميائياً فوجدوها مشابهة في تركيبها لتركيب قشرة الأرض ولكنها غنيّة بالحديد: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْذَارٌ لِلنَّاسِ) (الحديد/ 25). أمّا البأس الشديد الذي في الحديد فهو الطاقة النوويّة الهائلة التي بُذلت أثناء تشكّله وتجميع ذراته لتعطي معدناً صلباً. أما وجه الإعجاز الآخر في هذه الآية فقد كان في الإعلان الإلهي في القرآن الكريم قبل أكثر من 1400 سنة أن الحديد قد تشكّل في السماء ثم أنزله إلى الأرض تنزيلاً (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ). لقد أذهلت هذه الحقيقة العلمية جموع العلماء المؤتمرين في الرياض لدراسة الإعجاز العلمي للقرآن، فكان أجمل تعليق سمعه الملاما قاله البروفيسور وعالم الفضاء الأمريكي آرم سترونغ: "لقد توافقت أعمال الله في كونه مع جاء في القرآن الكريم قبل أكثر من 1400 سنة، كما توافقت هذه الآيات مع المكتشفات العلمية الحديثة بما لا يدع مجالاً للشك بأن القرآن من كلام الله مبدع الكون والعليم بأسراره وواضع قوانينه ونواميسه": (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْتَدُونَ) (سورة الحديد/ 3) (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ الْكِتَابُ عَلَيْنَا لَمَّا كُنَّا هُنَا قُلْ إِنَّا نَزَّلْنَاهُ بِاللَّيْلِ وَإِنَّا نَزَّلْنَاهُ بِالْغَدِيقِ) (سورة الحديد/ 53)، وقال: (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلِتَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ نَزِيلَهُ يُعَدِّحِينَ) (ص/ 87-88). بعد هذه الآيات والمعجزات والأدلة العلمية المادية الملموسة لم يعد هناك أدنى شك في وجود الله ولا في كون الإله الواحد الأحد الفرد الصمد خالق هذا الكون ومصوّر مخلوقاته ومنزّل القرآن، لذا فهو يستحق منا الشكر والعبادة على ما أسبغه علينا من نعم ظاهرة وباطنة (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَسْأَلٍ لَتُؤْتُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (إبراهيم/ 34). نعم، إن نعم الله علينا كثيرة وكثيرة جداً ولكن أهمها القرآن الذي أنزله نورا وهداية للعالمين، وثانيهما أنّه سبحانه وتعالى قد أورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ونشتهي كل حسب إيمانه واجتهاده وإخلاصه في العبادة والشكر والحمد لله وحده: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات/ 56).

المصدر: كتاب وجود الله بالدليل العلمي والعقلي